بوادر الديكتاتورية العسكرية في إيران

أمير طاهري

موقع قضايا أمن الأسرة

17 فبراير 2010

Iran's Emerging Military Dictatorship

By **Amir Taheri**

Family Security Matters ***Website***

ترجمة: علي الحارس

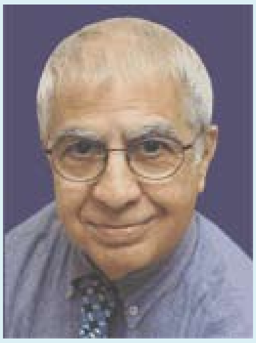

أمير طاهري

- كاتب في عدد من الصحف المرموقة: وول ستريت جورنال، نيويورك بوست، الشرق الأوسط. وكتب من قبل في: واشنطن بوست ولندن تايمز ولوس انجليس تايمز وديلي تلغراف وانترناشيونال هيرالد تريبيون وبوليتيك انترناسيونال (الفرنسية) ومجلة فوكاس (الألمانية).
- كاتب في صحيفة (صنداي تايمز) اللندنية (1984-1997).
- كاتب ومحرر في صحيفة (داي ويلت) الألمانية (1989-1995).
- رئيس تحرير صحيفة (جون أفريك) الفرنسية الأسبوعية (1985-1987).
- كاتب في مجلة (المجلة)، (1981-1984).
- رئيس تحرير صحيفة (كيهان) الإيرانية (1972-1979).

للوهلة الأولى قد يبدو المرشد الأعلى في إيران، آية الله علي خامنئي، رجلا سعيدا. فالحركة الديمقراطية قطعت وعدا بأن تكون الذكرى الحادية والثلاثين لانطلاق الثورة الإسلامية نقطة تحول في مسيرة الحرية، لكن نظام السيد خامنئي استطاع احتواء تصاعد حركة المعارضة.

لقد سيطر حرس الثورة على طهران بمساعدة عشرات الآلاف من حاملي الهراوات الذين تم استقدامهم من باقي أنحاء البلاد. أما المتظاهرون المنتمون إلى المعارضة فقد انحصروا في شمال طهران وخاضوا معارك (اضرب واهرب) مع بلطجية النظام المحترفين، وفشلت خطة لاقتحام سجن ايفين الذي يتعرض فيه 3000 معتقل للتعذيب، حيث لم ينجح المنفذون في كسر طوق فولاذي فرضه حرس الثورة حول السجن مترامي الأطراف.

استطاع النظام فرض روايته الخاصة عن الأحداث من خلال إغلاق خدمة الانترنت والتشويش على الإذاعات الخارجية؛ فأظهر التلفزيون الرسمي حشودا كبيرة تهتف «الموت لأمريكا» وهي تمر أمام صور عملاقة للمرشد الأعلى. وعلى الرغم من كل ذلك، كان من

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل© www.iraqfuture.net

بوادر الديكتاتورية العسكرية في إيران

المفاجئ أن تأتي رسالة خامنئي في شكر الحشود المؤيدة للنظام وهي تحمل نبرة كئيبة، فالمرشد الأعلى يشعر بما يحزنه.

للمرة الأولى في تاريخه اضطر النظام إلى تحويل طهران إلى قلعة مغلقة تنتشر نقاط التفتيش على مداخلها. وفرض حرس الثورة سيطرة كاملة في خطة حملت اسم (سيمرغ)، الطائر الأسطوري في الميثولوجيا الفارسية، ليخلق جوا من الحرب في المدينة المقسمة، وبسبب تحذيره من أن حياته قد تكون في خطر، تم إجبار السيد خامنئي على مشاهدة الأحداث عبر التلفزيون عوضا عن القيام بجولته الشخصية المعتادة. ولضمان السيطرة على طهران توجب على النظام أن يتخلى عن خطط للاحتفال بذكرى الثورة في أجزاء أخرى من البلاد، فلم يحظ بإحياء هذه الذكرى غير 20% من المدن والبلدات الإيرانية إضافة إلى 9% من القرى.

منذ ما يقارب العقد من الزمان بدأت عملية انتقال نظام الخميني من استبداد رجال الدين إلى الديكتاتورية العسكرية، ومن يدرس التقاليد الإسلامية بذكاء حاد كما يفعل السيد الخامنئي، لابد أن يعرف أن التاريخ يكرر نفسه. فكل الدول الإسلامية على مدى التاريخ بنيت في البدء على أساس من الادعاء الفردي بالشرعية الإلهية، بدءا من نبي الإسلام ومن خلَفه، وكان في ما بعد أن انتهت هذه الدول إلى خسارة الشرعية والبقاء في السلطة عبر الإكراه. حتى أن أكثر هذه الدول نجاحا، كالأمويين والعباسيين والفاطميين، وصلت إلى مرحلة تعتمد فيها على المرتزقة من المماليك الذين تم تجنيدهم من القبائل الوثنية التي تقطن آسيا الوسطى، وكثيرا ما حدث أن قام المماليك بالاستيلاء على السلطة بقتل الخليفة أو استبقائه دمية يتلاعبون بها كيفما شاؤوا.

إن حرس الثورة ما هم إلا نسخة حديثة من المماليك، فقادتهم أكثر جموحا من الكثير من قادة النظام، وقاموا في السابق بنقض محاولات كثيرة قام بها رجال دين وسياسيون للوصول إلى تسوية مع ذلك الجانب من المعارضة الذي لا يزال ينادي بالإصلاح عوضا عن

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل© www.iraqfuture.net

تغيير النظام. وكثيرا ما ظهر جنرالات الحرس الثوري على شاشة التلفزيون داعين إلى الاعتقالات الجماعية والمحاكمات التهريجية. وكما كان حال الخلفاء الضعفاء والمترددين في الماضي، لا يزال السيد خامنئي يرفض إلى اليوم أن يصادق على «الحل الأخير» الذي يطالب به أولئك الجنرالات.

على المستوى الخارجي، لا يزال حرس الثورة يعمل على تطبيق سياسة عدوانية تهدف إلى «ملء الفراغ» الذي يأمل الجنرالات أن ينشأ عند خروج أمريكا من العراق وأفغانستان، وذلك بدعم الجماعات الإرهابية وواجهاتها من المنظمات السياسية. وتشير التقارير إلى أن حرس الثورة أنشأ مكتبا خاصا لمراقبة الانتخابات البرلمانية القادمة في العراق وكابل بهدف مساعدة مؤيدي النظام الإيراني على الوصول إلى سدة السلطة. كذلك يرفض الجنرالات أية تسوية في قضية البرنامج النووي، وبما أن هذا البرنامج يقع بأكمله في قبضتهم، فليس من الشطط أن نفترض بأن السيد خامنئي قد لا يكون مطلعا على حقيقة ما يجري تماما.

يأمل الرئيس اوباما بالحوار مع النظام الإيراني، وهذا ما كررته يوم الأحد وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون خلال زيارتها إلى قطر. وهذا الأمل لا يبدو أن له ما يسنده على أرض الواقع. إن إعلان السيدة كلينتون عن إمكانية السماح بتمديد أمل تحقق الحوار الوهمي سنة أخرى قد تسبب بنزع المصداقية عن حديثها الأقسى أمس حول العقوبات. وهنا لا يمكن للمتابع أن يكون أكيدا إلا من أمر واحد: لن يقبل النظام، والذي يسيطر عليه حرس الثورة حاليا، إلا بانتصار كامل في ما يخص المسألة النووية.

ثمة سبب آخر لحزن السيد الخامنئي؛ فبحسب بيانات وزارة العمل هنالك أكثر من مليون وظيفة «تلاشت» خلال الشهور الاثني عشر الأخيرة بفضل السياسات الشعبية للرئيس محمود أحمدي نجاد. كما إن العملة الرسمية (الريال) فقدت خلال الفترة نفسها ربع قيمتها أمام سلة العملات النفطية الأخرى في المنطقة.

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل© www.iraqfuture.net

بوادر الديكتاتورية العسكرية في إيران

لقد بدأت بعض الشركات الأجنبية ذات التاريخ الطويل في مساعدة إيران بإدراك أن النظام فقد مناعته حتى وإن لم يصل إلى حافة الهاوية؛ فانسحبت مجموعة تقودها شركة النفط النمساوية (OMV) من مشاريع بمليارات الدولارات لشحن الغاز الإيراني إلى باكستان والهند وأوروبا، وأوقفت شركة سيمنس الألمانية كافة نشاطاتها في إيران منهية وجودها الذي استمر منذ عام 1875، وانسحبت مجموعة من المستثمرين الماليزيين من مخطط يهدف إلى بيع السندات الحكومية الإيرانية في أسواق المال العالمية، وتم التخلي عن خطة لإنشاء مصرفين تركيين بهدف مساعدة المصارف الإيرانية على اختراق العقوبات الأمريكية.

إن دولا عملت طوال سنين على مساعدة إيران لكسر حصار العقوبات، مثل اسبانيا والنمسا واليونان ودبي وماليزيا، قد بدأت مؤخرا بمراجعة سياساتها. وانخفض الحجم الإجمالي للتجارة بين إيران والاتحاد الأوروبي بمقدار (13%) في 2009.حتى أن الصين بدأت بالقلق، حيث لا يزال التجميد يلف محادثاتها مع إيران لبناء عشر مصافي نفط وخمسة محطات على الأقل لإنتاج الكهرباء بالطاقة النووية.

لقد عملت الدول الديمقراطية الكبرى، ومن بينها الولايات المتحدة، طيلة ثلاثة عقود على إقناع النظام بتغيير جوانب من سلوكه، وكان الاتفاق الضمني أن يغض الغرب طرفه عما يرتكبه النظام من اضطهاد داخل إيران ما دام سلوكه الخارجي مقبولا.

لم تؤد تلك الاستراتيجية إلى نتائج مثمرة، وربما حان الوقت لإعادة التفكير بخيار تغيير النظام، ولا بد للمراقبين، وحتى من يدعون بالواقعيين منهم، أن يسلموا بأن المؤسسة التي شيدها الخميني، وعلى رأسها اليوم القيادة الجديدة من حرس الثورة، ليست اللاعب الوحيد في الميدان، وإنما هنالك لاعب آخر هو الحركة الشعبية المنادية بالتغيير. وإذا ما تم تجاهل أنصار الديمقراطية ولم يتلقوا دعما واضحا قويا فسيكون ذلك مؤشرا على تقييم سياسي متواضع، حتى وإن جاء ذلك عبر أكثر أصناف السياسة الواقعية تشاؤما.

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل© www.iraqfuture.net